

دلالةُ التقديمِ والتأخيرِ في تفسيرِ الكشافِ للزمخشريِّ قراءةٌ نقديَّةٌ توجيهيَّةٌ

Significance of delay and presentation in explaining the disclosure of Zamakhshari A guiding critical reading.

م. د. رافـــــد ناجي وادي الجليحاوي
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلاميَّة/ قسم اللغة العربية
Dr. Rafid Naji Wadi al-Jalihawi
Karbala University _ College of Islamic Sciences _
the department of Arabic language





ملخص البحث

يُعدُّ هذا البحثُ دراسة إجرائية في نقد دلالة التقديم والتأخير وتوجيهها في أهمّ تفسير عُنِي بالأساليب النحوية ودلالاتها؛ هو تفسير الكشاف للزمخشري. فتناول البحث دلالات التقديم والتأخير التي فيها رؤية نقديَّة مخالفة لما ذهب إليه الزمخشري أو التي لم تقترب من مقاصد الخطاب بتجلياته ومقاماته؛ فالنقد والتحليل ميدانٌ للقراءة الفاحصة المتأملة.



Abstract

This research is a procedural study in criticizing the significance of presentation and delay and directing it in the most important interpretation of grammatical methods and their significance; it is the interpretation of Al-Kashaf of Zamakhshari. The research dealt with the indications of presentation and delay in which a critical view is contrary to what Al-Zamakhshari went to or which did not approach the purposes of the discourse with its manifestations and stances. So the criticism and analysis are a wide field for the examiner and pensive reading.





المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدِ المرسلينَ وخاتمِ النبيينَ مُحمدٍ وعلى آله الطيبينَ الطاهرينَ.

أمَّا بعد

فالتقديمُ والتأخيرُ من الأساليب العربية التي تتسم بدقة نظمها وإعجازها؛ ويمثّلُ الخطاب القرآني المكان الخصب لهذا الأسلوب إذ عدَّه عبد القاهر الجرجاني أحد أدلة الإعجاز القرآني في كتابه دلائل الإعجاز؛ فكلُّ كلمة في القرآن الكريم في مكانها؛ فمن هنا ذهب المفسرون للكشف عن أسرار التقديم والتأخير في القرآن الكريم، وكان في مقدمتهم الزمخشري في تفسيره؛ إذ يُعدُّ له قصب السبق في ذلك، ومع كثرة الآيات القرآنية التي تصدَّى لها الزمخشري في تفسيره القيِّم نجد أنَّ هناك قراءة لم يلتفت إليها أكثر قربًا من مقصدية الخطاب وموافقة للسياق؛ فتصدّى هذا البحث إلى قراءة نقديَّة توجيهيَّة لدلالة التقديم والتأخير في تفسير الكشاف تجاوزنا فيها كثيرًا من دلالات التقديم والتأخير التي وافق القصد فيها، واقتصرنا على بعض دلالات التقديم والتأخير التي فيها رؤية نقديَّة مخالفة لما ذهب إليه الزمخشري أو التي لم تقترب من مقاصد الخطاب بتجليّاته ومقاماته؛ إذ النقد والتحليل ميدانٌ للقراءة الفاحصة المتأملة؛ فقسمنا بحثنا الموسوم بـ (دلالة التقديم والتأخير في تفسير الكشاف للزمخشري ـ قراءة نقديَّةٌ توجيهيَّةٌ) على مبحثين ـ بحسب المدوّنة النقديَّة ـ تسبقهما مقدِّمةٌ ومدخل تعريفي للتقديم والتأخير. وتناول المبحث الأول: دلالة التقديم والتأخير في سياق العطف؛ إذ ضمَّ دلالة التقديم والتأخير في سياق عطف مفرد على مفرد، ودلالة التقديم والتأخير في عطف شبه جملة على شبه جملة، ودلالة التقديم والتأخير في عطف جملة على جملة. وتناولنا في المبحث الثاني: دلالة التقديم والتأخير في أنماط أُخَر ــ تكون في غير سياق العطف ــ ، نحو: دلالة التقديم والتأخير في نمط الاستثناء، ودلالة التقديم والتأخير في نمط الشرط، ودلالة تقديم اسم (إنَّ) على خبرها مع جواز تأخيره، ودلالة تقديم شبه الجملة على فعلها. وختمْتُ البحث بأهمِّ النتائج التي توصلْتُ إليها.

وآخـر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

مدخل عن التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير من الأساليب العربية التي تتسم بعمق الأسرار وغورها؛ فله دلالة في الترتيب تختلف باختلاف المقاصد والمقام؛ يقول سيبويه في أهميته: « كـأنَّهم إنَّمـا يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهُمْ ببيـانه أَعْنَى، وإنْ كانا جميعًا يُهِمَّـانِهم ويَعْنِيانهم »[١]. ويقول عبد القاهر الجرجاني فيه: « هو بابٌ كثيرُ الفوائدِ، جَمُّ المحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضِي بك إلى لطيفةٍ»[٢]، فاستعمال العرب له دلالة على تمكّنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام ، فكان له في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق[٣]، وتتجلّى أسرار التقديم والتأخير في حرية اختيار المتكلم في ترتيب خطابه؛ فتختلف دلالات التقديم والتأخير باختلاف المقاصد والظروف المحيطة بالخطاب، زيادة على السياق اللغوي، ويتمثّلُ ذلك في الجواز النحوي؛ فالمعاني هي الغاية التي يسمو إليها الدرس النحوي؛ فالقواعد وسائل للوصول إلى الغايات وهذه الغايات هي المعاني، يقول ابن جني: فـإنَّ « العرب كما



تُعْنَى بألفاظها فتُصلحها وتهذّبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها، بالشعر تارة، وبالخُطَب أخرى وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلَّف استمرارها، فإنَّ المعانيَ أقوى عندها، وأكرم عليها وأفخم قَدرًا في نفوسها »[٤]، ومن هنا عدَّ التقديم التأخير والحذف والحمل على المعنى وغير ذلك من شجاعة العربية[٥]. ويكون التقديم على أنواع منها تقديم المسند إليه، وتقديم المسند، وتقديم مكمّلات الإسناد، وهناك أنواع أُخَر؛ يكون التقديم والتأخير في المعنى؛ أي خارج عملية الإسناد كالتقديم والتأخير في سياق العطف والصفات أو تقديم جملة جواب الشرط على جملة فعل الشرط؛ وهذا النوع يكون أكثر تحررًا في الخطاب وتمثّلًا له.

المبحث الأول/ دلالة التقديم والتأخير في سياق العطف.

يقصد بالتقديم والتأخير في سياق العطف، الترتيب الذي يكون بين المعطوف عليه والمعطوف ــ فهو خارج عن تقديم المسند إليه وتقديم المسند وتقديم مكمّلات الإسناد كالمفعولات والظروف والحال وغير ذلك ــ ومن أنواع التقديم في سياق العطف: عطف مفرد على مفرد، وعطف شبه جملة على شبه جملة، وعطف جملة على جملة؛ فيتناول هذا المبحث دلالة التقديم والتأخير في تفسير الكشاف للزمخشري ــ في سياق العطف ــ قراءة نقديَّة توجيهية. ويقسم على النحو الآتي:

أولًا: دلالة التقديم والتأخير في سياق عطف مفرد على مفرد:

ممَّا ورد من دلالة التقديم والتأخير في سياق عطف مفرد على مفرد؛ التقديم والتأخير في: ﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ) (وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ) (وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٦]، وقد وردت هذه الآية بحقِّ أصحاب الكساء؛ إذ لم يحضر للمحاجة والمباهلة غيرهم بلا خلاف؛ فالمقصود بـ (أَبْنَاءَنَا) الحسن والحسين (عليهما السلام)، وبـ (نِسَاءَنَا) فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وبـ (أَنْفُسَنَا) الإمام علي (عليه السلام)[٧]، ويقول الزمخشري في دلالة تقديم (الأبناء، والنساء، والأنفس) : « وخصّ الأبناء والنساء لأنَّهم أعزُّ الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يُقْتَل ... وقدّمهم في الذكر على الأنفس لينّبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنَّهم مقدَّمون على الأنفس مفدون بها. وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء (عليهم السلام). وفيه برهان واضح على صحة نبوّة النبي (صلَّى اللَّه عليه وآله سلم) لأنَّه لم يروِ أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك»[٨]؛ فرأيُّ الزمخشري تقديم (الأبناء والنساء) على (الأنفس) للطف مكانهم وقرب منزلتهم وأنهم مفدون بالأنفس، ونقول: إنَّ هذه العلة فيها نظر؛ فالمقام هنا مقام محاجة ومباهلة، ـــ فبعد مجادلة نصارى نجران للنبي (صلَّى الله عليه وآله وسلم) بعد ما جاءهم من العلم بأنَّ عيسى (عليه السلام) عبد الله ورسوله، قال تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[آل عمران:٥٩] جاءت الدعوة بالمباهلة؛ أي التضرّع الى الله بالدعاء وطلب اللعنة على الكاذبين[٩]؛ـــ فالتقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ} جاء بالترتيب من الأبعد إلى الأقرب أثرًا فبدأ بذكر الأبناء(الحسن والحسين) (عليهما السلام)، ثم النساء (فاطمة الزهراء) (عليها السلام)، ثم الأنفس (الإمام علي) (عليه السلام)، فلو بدأ المحاجة بالأنفس أولًا وانتصر لما كان للأبناء والنساء دورٌ في هذه المباهلة والمحاجة، فبدأ بالأبعد أثرًا ثم الأقرب لبيان أنَّ الحقَّ امتدادهم جميعًا وأثرٌ خالدٌ لهم؛ فهو في الأبناء (الحسن والحسين) (عليهما السلام)، وثم النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وثم الأنفس ابن عمِّه ووصيه الإمام علي (عليه السلام)؛ فهم أهل بيته وأصحاب الكساء؛ فهنا الخطاب فيه سلّم حجاجي من الأبعد أثرًا في المباهلة إلى الأقرب.

ثانيًا/ دلالة التقديم والتأخير في سياق عطف شبه جملة على شبه جملة:

من دلالة التقديم والتأخير في سياق عطف شبه جملة شبه جملة أخرى تقديم {فِي الْأَرْضِ} على {فِي السَّمَاءِ} في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[١٠]، ويقول الزمخشري في دلالة تقديم {فِي الأَرْضِ} على {فِي السَّمَاءِ} في سورة يونس: « فإن قلت: لَمَ قدّمت الأرض على السماء، بخلاف قوله في سورة سبأ: ﴿ عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]؟ قلت: حقُّ السماء أن تقدَّم على الأرض، ولكنَّه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم، ووصل بذلك قوله: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ [سبأ: ٣] لاءَمَ ذلك أن قدَّم الأرض على السماء»[١١]؛ فقول الزمخشري عن سبب تقديم السموات على الأرض في سورة سبأ أنَّ السماء حقّها أنْ تُقدَّم على الأرض، ويقصد أنَّه تقديم بالأولى من غير بيان سبب ذلك. ونذكر ــ هنا ــ الآية ؛ لنتعرَّف إلى مقصد التقديم فيها، قال تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [١٢]؛ فالمقام ــ في سورة سبأ ــ مقام محاجة وتحدٍ وإظهار عظمة الله عزَّ وجلَّ؛ فهذا يستلزم أن يكون التقديم بعلم الغيب الأصعب إلى الأقل؛ فعلم الغيب في السماء أعظم مقامًا وأقوى تحديًّا من علم الغيب في الأرض؛ فهي مبسوطة معروفة للناس؛ فهنا تقديم السماء على الأرض ــ في سورة سبأ ــ انتقال تدريجي من الأقوى إلى الأقل منه، وليس الاكتفاء بالأفضلية أو الأولوية من غير بيان سبب ذلك والوقوف عليه. وأمَّا تقديم {فِي الأَرْضِ} على {فِي السَّمَاءِ} في سورة يونس؛ فزيادةً على ما ذكره الزمخشري بذكر شهادة الله عزَّ وجل على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم؛ نقول: إنَّ المقام ــ في سورة يونس ــ مقام شهادة، وهنا يستلزم شهادة الله عليهم في جميع أعمالهم؛ لا يبعد عنه مثقال ذرة؛ فالمقام يستلزم التحدي والاحصاء بما يشهد عليهم في كتاب مبين؛ فما يكون كثيرًا أقوى تحديًّا ممَّا يكون قليلًا؛ فالكثرة من أعمال الناس تكون في الأرض، وأقلّ منها في السماء؛فهنا يتحقّق التحدي بمعرفة جميع أعمالكم، لا يعزب عنه مثقال ذرة سواءٌ أكانت في الأرض أم في السماء، وإحصاء كل ذلك في



كتاب مبين، وقريب من هذا المعنى ما ذهب إليه ابن عاشور؛ إذ يقول: « وَتَقْدِيمُ الأَرْضِ هُنَا لِأَنَّ مَا فِيهَا أَعْلَقُ بِالْغَرَضِ الَّذِي فِيهِ الكَلَامُ وَهُوَ أَعْمَالُ النَّاسِ فَإِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ بِخِلَافِ مَا فِي سُورَةِ سَبَأٍ ﴿عالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾[الآية:٣] فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمَقَامُ لِذِكْرِ عِلْمِ الغَيْبِ وَالغَيْبُ مَا غَابَ عَنِ النَّاسِ وَمُعْظَمُهُ فِي السَّمَاءِ لَاءَمَ ذَلِكَ أَنْ قُدِّمَت السَّمَاءُ عَلَى الأرض»[١٣]. فصفوة القول إنَّ في مقام معرفة الغيب تقديم السماء أولى، وإنَّ في مقام إحصاء الأعمال وكثرتها تقديم الأرض أولى.

ومن دلالة تقديم شبه جملة على شبه جملة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[١٤]، ويرى الزمخشري أنَّ دلالة تقديم { وَمِنْكَ } على { وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ } للأفضلية عليهم؛ إذ يقول: « فإن قلت: لمَ قدَّم رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلم) على نوح فمن بعده؟ قلت: هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم، فلما كان محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلم) أفضل هؤلاء المفضّلين: قدَّم عليهم لبيان أنَّه أفضلهم، ولولا ذلك لقدَّم من قدَّمه زمانه «[١٥] ونقول: إنَّ المقام ليس مقام أفضلية على الأنبياء؛ إذ إنَّ هذه الآية مرتبطة بالسياق الذي قبلها في تخصيص الخطاب بالنبي(صلَّى الله عليه وآله وسلم)؛ قال تعالى:﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾[١٦]؛ فالنبي محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلم) هو المخصوص بالخطاب؛ فهو المخاطَب وهذا يستلزم أن يكون ذكره أولاً للإلزام والتذكير؛ فبعد أن بيَّن الله عزَّ وجلَّ أنَّ الميثاق قد شمل الأنبياء جميعهم في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ على وجه الإجمال والحجة ينتقل إلى عطفه وتخصيصه بقوله: ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ ؛ فالمقام ليس مقام أفضلية على الأنبياء. فتعيَّنَ ذكره أولًا لتحقيق مقصد الإلزام والتذكير لكونه المخصوص بالخطاب، زيادةً على ذلك أنَّ قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾[١٧] خطاب حجّاجي بذكر الحجّة :{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ} لنتيجة مفادها أن الميثاق واحد شمل جميع الأنبياء فعطف {مِنْكَ} على الحجّة أولاً تسليمًا وإقناعًا وإلزامًا وتذكيرًا بأنَّ النبي (صلَّى الله عليه وآله وسلم) مشمول بهذا الميثاق وشأن الأنبياء واحد. وقريب من هذا المعنى ما ذهب إليه ابن عاشور إذ يقول :» فَلَمَّا أُمِرَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ) بِالِاقْتِصَارِ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَبِالْإِعْرَاضِ عَنْ دَعْوَى الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، أُعْلِمَ بِأَنَّ ذَلِكَ شَأْنُ النبيينَ مِنْ قَبْلِهِ، وَلِذَلِكَ عَطَفَ قَوْلَهُ {وَمِنْكَ} عَقِبَ ذِكْرِ النبيينَ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ شَأْنَ الرُّسُلِ وَاحِدٌ وَأَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِيهِمْ مُتَّحِدَةٌ «[١٨]. ولو كان الخطاب على التأخير في نحو :(وإذا أخذنا على النبيينَ ميثاقهم ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ومنك) فسيكون ذكر النبي(صلَّى الله عليه وآله وسلم) في آخر العهد ــ وهو المخصوص بالخطاب ــ وتضعف القوة الانجازية والحجّاجية

في إنجاز فعل الإلزام والتذكير؛ فصفوة القول إنَّ الخطاب إليه موجّه فيكون ذكره ــ أولًا ــ ألطف في أخذ الميثاق منه، وثمَّ ذكر الأنبياء بعده.

وأيضًا من دلالة التقديم والتأخير في سياق عطف شبه جملة على شبه جملة تقديم {حِينَ تُرِيحُونَ} على {حِينَ تَسْرَحُونَ} في قوله تعالى:﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[١٩]،ويقول الزمخشري في دلالة تقديم {حِينَ تُرِيحُونَ}على {حِينَ تَسْرَحُونَ}: « فإنْ قُلتَ: لم قُدِّمتْ الإراحة على التسريح؟ قُلتُ: لأنَّ الجمال في الإراحة أظهر، إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع، ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها »[٢٠]؛ فما ذهب إليه الزمخشري وجه حسن، لكن إظهار إعجاب أصحاب الأنعام وراحتهم متأتٍ من أحوالهم ونفسيتهم في نظرتهم لها وليس المظهر الخارجي هو أصل هذا الجمال والاكتفاء به؛ فعندما يريحون في هذا الحال قد أنجزوا مهمتهم بعد يوم شاق طويل فيستمتعون بثمرة إنجازهم في نظرتهم لها وقد رافقتهن السلامة؛ فالشعور بهذا الجمال متأتٍ من نظرة أصحابها لهن بعد إنجاز عملهم؛ فوصف الأنعام بالجمال بعد التعب والسلامة يكون ألطف من حال أصحابه مع الأنعام في مدة المصاحبة وإنجاز العمل؛ هذا إن كان أصحابها مرافقين لها في التسريح، أمّا إذا كانوا منتظرين لها وقد أُوكِل بهذه المهمة بعض الفتية أو الأبناء؛ فالجمال قطعًا يكون أظهر في الإراحة منتظرين سلامة أنعامهم مستمتعين بجمال هذه النظرة؛ وقريب من هذا المعنى قول الآلوسي: « وتقديم الإراحة على السرح مع أنَّها متأخّرة في الوجود عنه لكونها أظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال وأتمّ في استجلاب الأنس والبهجة إذ فيها حضور بعد غيبة وإقبال بعد إدبار على أحسن ما يكون ملأى البطون حافلة الضروع »[٢١]، زيادة على ذلك أنَّ المنافع تؤخذ بعد الإراحة وليس في التسريح، فلهذا كان تقديم {حِينَ تُرِيحُونَ} على {حِينَ تَسْرَحُونَ} أولى وإلى هذا ذهب البغوي، إذ يقول: « وقدّم الرواح لأنَّ المنافع تؤخذ منها بعد الرواح، ومالِكها يكون أعجب بها إذا راحت »[٢٢]، وتابعه البقاعي في ذلك، يقول: « ولمَّا كان القدوم أجلّ نعمة؛ وأبهج من النزوح؛ قدَّمه؛ فقال: {حِينَ تُرِيحُونَ}، بالعشّي من المراعي، وهي عظيمة الضروع طويلة الأسنمة، {وَحِينَ تَسْرَحُونَ}، بالغداة من المُراح إلى المراعي، فيكون لها في هاتين الحالتين من الحركات منها ومن رعاتها ومن الحلب والتردّد لأجله، وتجاوب الثغاء والرغاء أمر عظيم، وأنس لأهلها كبير»[٢٣]، فصفوة القول إنَّ الجمال لا يقتصر على حسن مظهرها بعد ملئها لبطونها ــ وإنْ كان هذا الأمر نسبيًّا؛ فقد يظهر في الأغنام ولا يظهر في الإبل ــ بل يكون الجمال هو انعكاسا متحصّلا من حال أصحابها في نظرتهم لها وثمرة إنجاز عودتها وسلامتها واكتساب المنافع منها، وليس المظهر الخارجي فحسب.

ثالثًا/ دلالة التقديم والتأخير في سياق عطف جملة على جملة:

من دلالة التقدم والتأخير في سياق عطف جملة على جملة قوله تعالى:﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[٢٤]، ويقول



الزمخشري في دلالة تقديم {فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} على {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}: « فإن قلت: قوله: {فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} مُسبَبٌ عن خوف الغصب عليها فكان حقّه أن يتأخّر عن السبب، فلم قُدِّم عليه؟ قُلتُ: النيَّة به التأخير، وإنَّما قُدِّم للعناية، ولأنَّ خوف الغصب ليس هو السبب وحده، ولكن مع كونها للمساكين «[٢٥]، ونقول: إنَّ هذه الآية جاءت في سياق الحوار بين العبد الصالح (عليه السلام) وموسى (عليه السلام) تعليلًا وتأويلًا لما فعله العبد الصالح (عليه السلام) في خرق السفينة، بعد أن أخذ من موسى (عليه السلام) عهدًا أنْ لا يسأله عمَّا يفعله[٢٦]، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[٢٧]؛ فالمقصد التواصلي على ترتيب الحجج وليست فيه نيَّة التأخير فنجد أنَّ الخطاب ـــ هنا ـ في التقديم والتأخير جاء مرتَّبًا بذكر الحجج والنتيجة؛ والتسلسل في الأحداث؛ فكونها للمساكين سببا لنتيجة {فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا}؛ إذ لو لم تكن هذه السفينة لهؤلاء المساكين لما عَـــــابَها العبدُ الصالحُ. وفي الوقت نفسه تتضافر الحجّة والنتيجة :{ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا } لتكون نتيجة لسبب {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}؛ فبسبب كونها لمساكين أراد أن يعيبها، وبعد أن فعل ذلك يكون فعله نتيجة لسبب؛ وهو إنَّ هناك مَلِكًا يأخذ كلَّ سفينة غصبًا؛ فنلحظ ترتيبًا في الخطاب الحجاجي؛ يقول ابن المنير الاسكندري: « وكأنه جعل السبب في اعابتها كونها لمساكين، ثم بيَّن مناسبة هذا السبب للمسبب بذكر عادة الملك في غصب السفن، وهذا هو حدّ الترتيب في التعليل أن يرتّب الحكم على السبب ثم يوضّح المناسبة فيما بعد، فلا يحتاج إلى جعله مقدَّمًا والنيَّة تأخيره «[٢٨] ؛ فلم يكن الخطاب فيه نيَّة التأخير بل كلُّ كلمة كانت في مكانها. فالخطاب القرآني ـــ هنا ـــ حجاجي محض؛ فنلحظ أنَّ جميع الحجج مع نتائجها فيها ترتيب للوصول إلى نتيجة محذوفة هي حمايتهم. زيادة على ذلك أن في نيَّة التأخير لبسًا في الكلام إذ لو كان الخطاب على نيّة تأخير { فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا } في نحو: (أمَّا السفينةُ فكانت لمساكين يعملون في البحر وكان وراءَهم ملكٌ يأخذُ كلَّ سفينةٍ غصبًا فأردْتُ أن أعيبها) لحصل لبس في عود الضمير في (أعيبها) هل هو عائد إلى: { أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ } أو يرجع إلى { يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}؟؛ يقول أبو السعود في ذلك : « ولأنَّ في التأخير فصلًا بين السفينة وضميرها مع توهّم رجوعه إلى الأقرب « [٢٩] فمن هنا نقول: إنَّ الخطاب القرآني جاء في هذا النسق لبيان مقاصده وحسن نظمه.

وأيضًا من دلالة التقديم والتأخير في سياق عطف جملة على جملة؛ تقديم { يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} على {وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ} في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ

فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣٠]، ويقول الزمخشري في دلالة تقديم {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} على {وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ} : « فإن قلت: لمَ قُدِّم التعذيب على المغفرة ؟ قُلتُ: لأنَّه قوبل بذلك تقدُّم السرقة على التوبة » [٣١]، ونقول: زيادة على ما ذكره الزمخشري هناك علَّة رئيسة هي إنَّ التقديم جاء مراعيًا للترتيب في الحدث، فلو كانت هناك توبة منهم ومغفرة من الله أولًا لانتفى وجود العذاب ثانيًا؛ فالتوبة منهم والمغفرة من الله لا يكون بعدهما عذاب؛ « لأنَّه إذا تاب فقد وُعِدَ بأنَّه لا يؤاخذ به بعد توبته، وعند المخالفة يُقْبَحُ مؤاخذته بعدها » [٣٢]، أمَّا تقديم العذاب أولًا ثمَّ المغفرة في قوله تعالى:﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ } فهنا يمكن أن يحدث بعد العذاب توبة منهم ومغفرة من الله؛ قال تعالى: { فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٣٣]. وربَّ قائل يقول: الخطاب القرآني لا يحصر الفئة نفسها في العذاب أولًا وفي المغفرة ثانيًا، بل هو على الإطلاق في المعنى في قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، نقول: إنَّ معنى الخطاب يجوز فيه أن يكون بعض ممَّن شملهم قوله تعالى:﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ قد يشملهم قوله تعالى : ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ}؛ فلهذا يكون تأخير ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ عن ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ في نحو﴿ يغفر لِمَنْ يَشَاءُ ويعذِّب مَنْ يَشَاءُ﴾ غير دقيق؛ فينتقض المعنى في مَنْ يُعذب أولًا ويتوب ويغفر الله له ثانيًا، فلهذا السبب تقدّم العذاب على المغفرة، وقريب من هذا المعنى ما ذهب إليه الخطيب؛ إذ يقول: « وفي تقديم العذاب هنا على المغفرة ــ نظرــ إذ كانت رحمة الله تسبق غضبه وعذابه أبدًا، ولكن إذ كان الموقف هنا موقف محاسبة للمذنبين، ثم مغفرة ورحمة لمن تاب ورجع إلى الله منهم كان ذكر العذاب مقدّمًا على ذكر المغفرة بالنسبة لهم، ولو تقدَّمت المغفرة على العذاب هنا لما كان لعقاب المذنبين ــ مع سبق الرحمة ــ مكان، ولشملتهم الرحمة قبل أن يؤخذوا بجرمهم، ويُقَام الحدُّ عليهم... فكان تقديم العقاب أخذًا لحقِّ الله وحقِّ العباد أولًا، ثم تجيء مغفرة الله ورحمته، فتمحو آثار هذا العقاب وتعفى عليه، لمن وجَّه وجهه إلى الله، وطلب الصفح والمغفرة »[٣٤]. فهذا هو المقصد من التقديم والتأخير وعدم الاكتفاء بمقابلة السرقة بالعذاب والتوبة بالمغفرة.

وكذلك من دلالة التقديم والتأخير في سياق عطف جملة على جملة قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾[٣٥] هنا في هذه الآيات سؤال أهل الجنة عن المجرمين أصحاب النار عن سبب وصولهم إلى هذا العذاب ودخولهم سقر، فيأتي الجواب بذكر الأسباب أولًا: لم نكن من المصلّين، ثانيًا: لم نكن نطعم المسكين، ثالثًا: كُنَّا نخوض مع الخائضين، والمراد منه الأباطيل، رابعًا: كُنَّا نكذّب بيوم الدين؛ أي بيوم القيامة حتى أتانا اليقين؛ أي الموت[٣٦]، ويقول الزمخشري في دلالة التقديم والتأخير في هذه الأسباب: « فإن قلت: لمَ أُخِّر التكذيب وهو أعظمها؟ قلت: أرادوا أنَّهم بعد ذلك كله كانوا مكذّبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب. كقوله:

﴿ ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد:١٧] و{اليَقِينُ} الموت ومقدماته، أي: لو شفع لهم الشافعون جميعًا من الملائكة والنبيينَ وغيرهم، لم تنفعهم شفاعتهم؛ لأنّ الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم. وفيه دليل على أنَّ الشفاعة تنفع يومئذ؛ لأنَّها تزيد في درجات المرتضين «[٣٧]، ونقول: إنَّ لكلِّ نصٍّ سياقه وغرضه فلا يمكن حمل سياق على سياق آخر، أمّا تأخير {وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}ـــ وهو شيءٌ عظيم مرتبط بالتوحيد ــ عن ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾؛ لأنَّ المقصد تمكين الأسباب في ذهن المتلقي بالترتيب، فلو كان الخطاب بتقديم {وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ } أولاً؛ لما كانت هناك حاجة إلى معرفة الأسباب الأُخَر؛ فهو الشيء العظيم الذي يشغل الذهن عن التأمّل في بقية الأسباب فيتوقذف العقل به ويكتفي؛ فالإيمان بالمعاد أصل من أصول الدين، وبعد ذلك تأتي العبادات كالصلاة والمعاملات كإطعام المسكين وعدم الخوض مع الخائضين، زيادةً على ذلك أنَّ الخطاب القرآني ــ في هذه الآيات ــ جاء متصلًا بالآيات التي بعدها﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾[٣٨] فمجيء اليقين وما تنفعهم شفاعة الشافعين، يكون في يوم الدين الذي قد كذّبوه؛ فالآية ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ } متصلة بــ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾؛ فهذه الآيات متصلة بعد تكذيبهم وحصول اليقين في يوم القيامة وإعلان عدم شفاعتهم وانتظار عقابهم والاستفهام عن سبب إعراضهم عن التذكير بيوم الدين. وهذا لا يستقيم إذا كان هناك تقديم ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ على الأسباب الأُخر ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ ؛ إذ يكون الخطاب غير متصل اتصالًا تامًا في نسق واحد؛ مع الآيات التي بعدها ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾؛ إذ هي تفسيرٌ وإجابة لتكذيبهم بيوم الدين.

وكذلك من هذا النمط في التقديم والتأخير؛ تقديم { لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } على { وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} في قوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٣٩]، ويقول الزمخشري : « فإن قلت: لِمَ أخّرت صلة الشهادة أولًا، وقدَّمت آخرًا قلتُ: لأنَّ الغرض في الأوَّل إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدًا عليهم » [٤٠]؛ فالمعنى عند الزمخشري لا يتعدّى إثبات شهادتهم على الأمم وكون الرسول شهيدًا عليهم، وهذا المعنى لا يسبر غور النظم القرآني؛ فعند استعراض الآيات التي قبل هذه الآية ـــ؛ قال تعالى:﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤١] ـــ نلحظ أنَّ سياق هذه الآية متصل بما قبلها؛ فبعد الحديث عن الأمم السابقة ينتقل الخطاب إلى وصف هذه الأمة في جعلها أمة

وسطًا؛ فنستدلّ بعد هذا الاتصال أنَّ الخطاب جاء في نسق واحد في كونه خطابًا حجّاجيًا؛ فقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ حجّة لنتيجة ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[٤٢] وفي الوقت نفسه هذه النتيجة تُعدُّ علَّة لنتيجة أخرى { وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }؛ فالمعنى الحجّــــاجي ـ هنا ـ بسبب جعلكم أمة وسطًا أصبحتم شهداء على الناس وبسبب كونكم شهداء على الناس يكون الرسول عليكم شهيداً؛ فالخطاب هنا متسلسل في الإقناع والحجاج؛ فلا يصحّ التأخير في نحو (وكذلك جعلناكم أمةً وسطا ويكون الرسول عليكم شهيدًا ولتكونوا شهداء على الناس)؛ إذ المعنى يختلف؛ فسيكون (وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا) سببا لكون الرسول شهيدًا عليهم وهذا مخالف للمقصد، وفي الوقت نفسه سيكون (ويكون الرسولُ عليكم شهيدًا) سببا لتكونوا شهداء على الناس. وهذا كلُّه مخالف للخطاب القرآني في مقاصده وحجاجه.

المبحث الثاني/ دلالة التقديم والتأخير في أنماط أُخَر

قصدنا بدلالة التقديم والتأخير في أنماط أُخَر ما ورد من أنماط التقديم والتأخير ـ في تفسير الكشاف ـ خارج سياق العطف؛ منها: دلالة التقديم والتأخير في نمط الاستثناء، ودلالة التقديم والتأخير في نمط الشرط، ودلالة تقديم اسم (إنَّ) على خبرها مع جواز تأخيره، ودلالة تقديم شبه الجملة على فعلها. فتناول هذا المبحث هذه الدلالات قراءة نقديَّة توجيهية. ويقسّم على النحو الآتي:

أولا: دلالة التقديم والتأخير في نمط الاستثناء؛ ممَّا ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٤٣] تتحدّث هذه الآية عن قصة طالوت مع جنوده بعد أن اشتكوا له العطش فأخبرهم أنَّ الله مختبرهم بنهر فمن شرب منه فليس منه؛ أي خرج عن طاعته، ويستثنى من ذلك من شرب غرفة واحدة، وأمَّا من لم يشرب فهو من أهل ولايته وطاعته[٤٤]، ويقول الزمخشري في دلالة التقديم والتأخير في نمط الاستثناء في هذه الآية : « فإن قلت: ممَّ استثنى قوله: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ﴾؟ قلت: من قوله: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ والجملة الثانية في حكم المتأخرة، إلاّ أنَّها قُدِّمت للعناية كما قدَّم {وَالصَّابِئُونَ}[المائدة:٩٦] في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ ومعناه: الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع، والدليل عليه قوله: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ أي فكرعوا فيه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ »[٤٥]؛ فما ذهب إليه الزمخشري من دلالة التقديم يسندها إلى الاهتمام والعناية، ويقيس في ذلك على تقديم {وَالصَّابِئُونَ} في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾، ونقول: لكلِّ نصٍّ سياقُهُ وغرضُهُ، فلا يصحّ قياس خطاب على آخر متباين السياق، أمَّا علَّة الاهتمام فقد نقضها عبد القاهر الجرجاني ــ في ردّه على سيبويه ـ إذ إنَّ الاهتمام معنى عام يتطّلبُ بيان أسباب هذا الاهتمام وعلّته، فيقول: « واعلم أنَّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئًا يجري مجرى الأصل، غَيْرَ العناية والاهتمام. قال صاحبُ

الكتاب، وهو يذكر الفاعل والمفعول:» كأنَّهم يقدِّمون الذي بَيَانُه أهمّ لهم، وهم بِبَيانِهِ أَعْنَى، وإن كانا جميعًا يُهِمَّانِهم ويَعْنيانِهم» ولم يَذْكر في ذلك مِثَالًا ... وقد وَقعَ في ظنونِ النَّاسِ أَنَّه يكفي أنْ يقالَ: «إنه قُدِّم للعناية، ولأنَّ ذكْرَه أَهمُّ»، مِنْ غير أن يُذْكَر، مِنْ أين كانت تلك العنايةُ؟ وبِمَ كانَ أهمَّ؟ «[٤٦] ، ويظهر في هذا الخطاب القرآني أنَّه خطاب حجّاجي محض، فبدأ بتذكير العواقب والتهديد بأنَّه { فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي} ، ثم ذكر الأقرب منزلة منه وثوابهم، {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي}، ولو ذكر الاستثناء قبل {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي}ـــ، في نحو : (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي) ـ فلا درجة عُليا تكون لمن لم يطْعَمْه؛ فهم الأولى بالثواب والمنزلة ؛ وقريب من هذا المعنى قول البقاعي : « { فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ} أي ملأ بطنه { فَلَيْسَ مِنِّي} أي كمن انغمس في الدنيا فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي} كمن عزف عنها بكليّته ثم تلا هذه الدرجة العليَّة التي قد قُدّمت للعناية بها بما يليها من الاقتصاد فقال مستثنيًا من { فَمَنْ شَرِبَ}: {إلاّ مَن اغترفَ} أي تكلّف الغرف {غُرْفَةً بِيَدِهِ} «[٤٧] فيفهم من ذلك أنَّ التقديم والتأخير هو ترتيب في العليَّة لمن لم يشرب مطلقًا يكون أولًا وبعده من يشرب باقتصاد؛ فلا يصح تأخير {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ} إذ يكون أقلّ منزلةً من {مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ}؛ وهم من سمع وأطاع ؛ فمنزلتهم تبقى في الصدارة حتى في سياق الترتيب القرآني؛ فهنا دعوة صريحة إلى المنع الكامل مع جواز من يغترف غُرْفَةً بيده، ولو كان الخطاب على التأخير في نحو: (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي) ستختفي هذه العليَّة والمنزلة، ويكون من اغترف غرفة بيده أفضل ممَّن لم يشرب مطلقًا؛ وهذا ليس المراد، بل المقصود الدعوة إلى عدم الشرب من الماء ولو قليلًا، واجتياز الاختبار الإلهي، قال تعالى:{ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ }، وليس كما ذهب إليه الزمخشري في تفصيل الرخصة باليد وليس الكروع؛ فالمقام ليس مقام تفصيل بالكروع أو اليد، وكذلك ليس مقام عناية واهتمام ــــ كما بيَّنا ــــ وهنا تظهر رتبة الإعجاز القرآني ومنزلته.

ثانيا: دلالة التقديم والتأخير في نمط الشرط؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [٤٨]، ويذهب الزمخشري في دلالة الترتيب في قوله تعالى:{ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ } إلى أنَّ لا تقديم وتأخير في التركيب الشرطي تبعًا للمذهب البصري؛ إذ يرى جمهور البصريين أنَّ جواب الشرط لا يتقدَّم على فعل الشرط ــــ لأنَّ الشرط له صدر الكلام ــــ وما يتقدَّم هو دليل على الجواب المحذوف وجوبًا[٤٩]؛ يقول الزمخشري: « فإن قلت: لمَ جعلت جواب لولا محذوفًا يدلُّ عليه همَّ بها، وهلا جعلته هو الجواب مقدَّمًا؟ قُلتُ: لأنَّ لولا لا يتقدّم عليها جوابها، من قبل أنَّه في حكم الشرط، وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيّزه من الجملتين مثل كلمة واحدة، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض. وأمّا حذف بعضها إذا دلَّ الدليل

عليه فجائز «(٥٠)؛ فهنا يكون تقدير المحذوف:(ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهانَ ربِّهِ لهمَّ بِهَا)؛ فالمعنى – هنا – فيه تمحلّ وضعف في الدلالة ومخالف لمقصدية الخطاب، والسبب في ذلك التقيّد بالقواعد والعلل؛ والصحيح تكون القاعدة تبعًا للمعنى وليس العكس؛ فعلى هذا الترتيب الذي ذهب إليه الزمخشري لا تكون دلالة التقديم والتأخير صحيحة فهنا دلالة {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا} في الآية القرآنية إخبارٌ خارج عن التركيب الشرطي، وليس جواب شرط مقدَّم؛ إذ الجواب محذوف يفسره المعنى السابق؛ وهذا غير صحيح؛ إذ أفاد تقديم الجواب { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا } على { لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ } خطورة الموقف والحدث؛ ففي التقديم تأكيد بالغ أنه قد يقارب أن يهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه؛ فلهذا قدَّم جواب الشرط لهذه الدلالة. ولو كان الخطاب على تقدير:(ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهانَ ربِّهِ لهمَّ بِهَا) لضعفت القوة الإنجازية لمقصدية الخطاب في التأكيد على خطورة الموقف وشدّته الذي وقع فيه يوسف عليه السلام، ونجح في اجتيازه بنصرة الله له إذ كان من عباد الله المخلصين؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾(٥١).

ثالثا: دلالة تقديم اسم (إنَّ) على خبرها مع جواز تأخيره؛ منه قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾(٥٢)، ويقول الزمخشري في دلالة التقديم والتأخير في تقديم {خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ} على {الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}: « فإن قلت: كيف جعل خير من استأجرت اسما لـ إنَّ، والقوي الأمين خبرًا؟ قلت: هو مثل قوله:

ألا إنَّ خيرَ النّاس حيًّا وهالكًا

أسيرُ ثَقِيفٍ عندهُم في السَّلاسلِ

في أنَّ العناية هي سبب التقديم، وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحقُّ بأن يكون خبرا اسمًا، وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنَّه أمر قد جُرِبَ وعُرِفَ «(٥٣)؛ فدلالة الترتيب عند الزمخشري للعناية بالمقدَّم، زيادةً على الاستدلال ببيت شعري في جعل (خيرَ) اسما لـ (إنَّ)، ونقول: إنَّ الاستدلال ببيت شعري على دلالة ما غير سليم فلكلِّ نصٍّ غرضُهُ وسياقُهُ الخاص؛ فالغرض من التقديم في البيت الشعري هو المدح والفخر والتعظيم بأنَّه خيرُ الناس حيًّا وهالكًا، وهذا مخالف لسياق التقديم والتأخير في الآية ومقصدها. وأمّا الإجابة عن القول: إنَّ (العناية هي سبب التقديم) فالعناية عنوان عام يتطلّبُ الوقوف على سرّ هذه الاهتمام – وهذا ما ذكره الجرجاني في ردّه على سيبويه – وقد ذكرناه سابقًا –؛ أي المقصد الحقيقي من التقديم(٥٤)؛ فالخطاب القرآني في هذه الآية على لسان إحدى المرأتين – إذ طلبتا السقي ولم تستطيعا وقد ساعدهما موسى (عليه السلام) في ذلك





ـ إلى أبيهما في استئجار موسى (عليه السلام) بعد مساعدته لهما في سقي الماء. فهنا في مقام تواصلي يراد به بيان إقرارها ــ بأنَّه خير من استأجرت ـ وبيان استجابتها لهذا الاختيار وإظهار رغبتها بهذا الخير لأبيها، واغتباطها به[٥٥]؛ زيادةً على إظهار حسن اختيار الأب لموسى (عليه السلام). وهذا المقصد الدقيق متأتٍ من تقديم {خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ}؛ إذ الغاية بيان هذا التوصيف وإقراره أولًا، ثمَّ {الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}، ولو كان الخطاب على تأخير {خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ}ــ مع تغيير الموقع الإعرابي ــ؛ أي :(إنَّ القويَّ الأمينَ خيرُ من استأجرت)؛ إذ سيكون التفضيل بيان القوة والأمانة على حسن اختيار الأب واستجابة بناته لهذه الاختيار فستضعف القوة الإنجازية للمقصد التواصلي؛ فليس هو المقصود من دقة التقديم والتأخير في هذا الخطاب؛ إذ في تقديم {خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ} فيه وقع حسن في نفس الأب بالإقرار باختياره الصحيح والإثابة عليه، ونلحظ ما ترتّب على هذا الإنجاز من فعل تأثيري في طلب الأب زواج إحدى ابنتيه من موسى (عليه السلام) قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٥٦].

رابعًا: دلالة تقديم شبه الجملة على فعلها؛ منه قوله تعالى:﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[٥٧] . هذه الآيات جاءت في قصة نوح (عليه السلام) مع قومه الكافرين؛ إذ أخبرت أن اغراقهم بالطوفان كان بسبب خطيئاتهم فترتب عليه دخولهم النار بعد أن دعا نوح (عليه السلام) عليهم بالهلاك، ودعا له ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات بالمغفرة [٥٨]، ومن دلالة التقديم والتأخير في هذه الآيات تقديم شبه الجملة {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ} على الفعل {أُغْرِقُوا}، ويقول الزمخشري في ذلك: « تقديم {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ} لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان؛ فإدخالهم النار إلاّ من أجل خطيئاتهم»[٥٩]؛ فعلّةُ التقديم عند الزمخشري هي بيان أنَّ إغراقهم ليس بسبب الطوفان، بل من أجل خطيئاتهم الذي ترتّب على ذلك دخولهم النار. ونقول: إنَّ بيان عدم إغراقهم بسبب الطوفان متأتٍ من ذكر السبب {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ} ــ وفي الوقت نفسه عدم ذكر (الطوفان) ــ سواءٌ تقدم هذا السبب أم تأخر، فلو كان الخطاب بتأخير{مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ} في نحو (أُغْرِقُوا مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ فَأُدْخِلُوا نَارًا)، فيبقى المعنى الذي ذهب إليه الزمخشري واضحًا؛ فيفهم من هذا الخطاب أنَّ الإغراق كان بسبب خطيئاتهم، فيبقى السبب معروفًا ــ وإن كان مؤخّراً ــ؛ فالمعنى جليٌّ بذكر شبه الجملة {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ} سواءٌ تقدّمت أم تأخّرت؛ فليس بتأخيرها ينتفي بيان علة إغراقهم، أمّا القول عن سرّ تقديم {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ} على الفعل {أُغْرِقُوا} على الرغم من كشف السبب وبيانه ومع جواز تأخيره شبه الجملة {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ} في نحو (أُغْرِقُوا مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ فَأُدْخِلُوا نَارًا) فهو التحذير والوعيد ــ فالإخبار بالسبب قد بان بذكره وبعدم ذكر

سبب آخر كالطوفان ونحوه ـــ ولكن ما أفاده التقديم معنى التحذير والوعيد للناس والمتلقين بأنْ يحذروا الخطايا والذنوب فهي قد سبّبت إغراق قوم نوح (عليه السلام) وبعد ذلك هلاكهم في النار، وهذا المعنى لا يتوافر مع تأخير شبه الجملة بالقوة الإنجازية نفسها في فعل التحذير والإنذار. ليترتّب عليه هداية الناس والمتلقين ورجوعهم إلى الله والإيمان به وابتعادهم عن المعاصي والسعي إلى العمل الصالح الذي يكون فيه نجاتهم وخلودهم في الجنة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٦٠).

الخاتمة

بعد أن وصلنا إلى نهاية البحث لابدّ من وقفة نبيِّن فيها أهمّ النتائج؛ منها:

١- علَّة الاهتمام والعناية لا يصحّ الاحتجاج والاكتفاء بها، وهذا ما بيَّنه الجرجاني، وأثبته البحث في بيان مقاصد التقديم والتأخير.

٢- إنَّ قياس نصٍّ على نصٍّ غير صحيح في الاستدلال على معنى آخر، وهذا ما نقضه البحث ـــ في نقده لدلالة التقديم والتأخير في تفسير الكشاف ـــ إلاّ إذا كان السياق والموقف اللغوي مطابقًا تمام المطابقة، من حيث المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة.

٣- عالج البحث دلالات التقديم والتأخير في تفسير الكشاف، ووجهها في ضوء مقصدية الخطاب.

٤- لابد عند بيان دلالة التقديم والتأخير مراعاة السياق اللغوي في نصِّه الكامل وعدم الاكتفاء بالتركيب؛ فالآية القرآنية تصل إلى دلالتها باتصالها بما قبلها أو بعدها. وكذلك لا يصح الاكتفاء بالسياق العام للخطاب في تحديد الدلالة؛ فلا مناص من الوصول إلى السياق الخاص وظروف الخطاب. وهذا لم يُلْتَفَتُ إليه في بعض دلالات التقديم والتأخير.

٥- مثّلت هذه الدراسة أنموذجًا إجرائيًّا لنقد دلالة التقديم والتأخير؛ قلَّما نجدها في الدراسات؛ فتفتح بابًا للباحثينَ في نقدِ الدلالة.





الهوامش

١- الكتاب: ٣٤/١.

٢- دلائل الإعجاز: ١٠٦.

٣- ينظر : البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٣ : ٢٣٣ .

٤- الخصائص: ٢١٥/١.

٥- ينظر: المصدر نفسه:٣٦٠/٢.

٦- سورة آل عمران، الآية :٦١.

٧- ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن زمنين:٢٩٢/١. والنكت والعيون (تفسير الماوردي):٣٩٨/١ ــ ٣٩٩، والتبيان في تفسير القرآن، للطوسي:٤٨٤/٢، ومجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي: ٢٥٠/٣، وتفسير الفخر الرازي :٨٩/٨.

٨- تفسير الكشاف:٢٨٢.

٩- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري:٤٧٤/٦، والتبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٤٨٤ ـــ ٤٨٥. ومجمع البيان في تفسير القرآن:٢٤٩/٣ ــ ٢٥٠، والجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان، للقرطبي:١٥٨/٤ ـــ ١٥٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير:٤٩/٢ ـــ ٥٠.

١٠- سورة يونس، الآية: ٦١.

١١- تفسير الكشاف:٢٦٤.

١٢- سورة سبأ، الآية: ٣.

١٣- تفسير التحرير والتنوير: ٢١٤/١١.

١٤- سورة الأحزاب: الآية: ٧.

١٥- تفسير الكشاف:٣٩٨.

١٦- سورة الأحزاب: الآية: ٦.

١٧- سورة الأحزاب: من الآية: ٧.

١٨- تفسير التحرير والتنوير:٢٧٣/٢١.

١٩- سورة النحل، الآيتان: ٥ ـــ٦.

٢٠- تفسير الكشاف:٤٣٦.

٢١- روح المعاني:٩٩/١٤.

٢٢- تفسير البغوي (معالم التنزيل): ٩/٥.

٢٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١١/ ١٠٨ ـــ ١٠٩.

٢٤- سورة الكهف: الآية: ٧٩.

٢٥- تفسير الكشاف:٥٤٣.

٢٦- ينظر: تفسير الفخر الرازي: ١٥٩/٢١ ـــ ١٦٠، وتفسير الخازن: ٣/ ١٧٣ ـــ ١٧٤.

٢٧- سورة الكهف: الآيات : (٦٥ ــ ٧١).

٢٨- تفسير الكشاف : ٥٤٣، الهامش ، إذ حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) لـ أحمد بن



محمد بن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣هـ) مذيلة في التفسير ولم أجدها مطبوعة بكتاب منفصل، وينظر: تفسير القاسمي (محاسن التأويل): ٤٠٨٦/١١.

٢٩- تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٣٨.

٣٠- سورة المائدة، الآيات :٣٨ ــ ٤٠.

٣١- تفسير الكشاف: ٤٨٥ ــ ٤٨٦.

٣٢- التبيان في تفسير القرآن: ٥٢٠/٣.

٣٣- سورة المائدة، الآية:٣٩.

٣٤- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب:١٠٩٧/١.

٣٥- سورة المدثر، الآيات: ٣٨ ــ ٤٦.

٣٦- ينظر: تفسير الفخر الرازي: ٢١١/٣٠، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢١/ ٣٩٧ ــ ٣٩٨.

٣٧- تفسير الكشاف:٤٩٤.

٣٨- سورة المدثر، الآيات: ٤٧ـ ٤٩.

٣٩- سورة البقرة، من الآية:١٤٣.

٤٠- تفسير الكشاف:١٥٣.

٤١- سورة البقرة، الآيات: ١٤٠ ــ ١٤٢.

٤٢- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي: ١٠٢/١.

٤٣- سورة البقرة، الاية:٢٤٩.

٤٤- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٤١/٥ ـ٣٤٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ١/ ٣٣٤ ــ ٣٣٥.

٤٥- تفسير الكشاف:٢٢٦.

٤٦- دلائل الإعجاز:١٠٧ ــ ١٠٨.

٤٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٤٢٧/٣ــ ٤٢٨.

٤٨- سورة يوسف: الآيتان: ٢٣ ــ ٢٤.

٤٩- ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، (المسألة السابعة والثمانون): ٦٢٧/٢، وينظر: شرح الرضي على الكافية ٩٨/٤، وأوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ٢١٧/٤ ــ ٢١٨، وشرح ابن عقيل ٤٢/٤ .

٥٠- تفسير الكشاف:٣٣٧.

٥١- سورة يوسف، الآية: ٢٤.

٥٢- سورة القصص، الآيات: ٢٣ ــ ٢٦.

٥٣- تفسير الكشاف:٣٠٤، والبيت لأبي الشغب العبسي في خالد بن عبد الله، وهو أسيرٌ في يدي يوسف ين عُمَر، ينظر: شرح الحماسة ، للمرزوقي:٩٢٧/٢.

٥٤- يقول الجرجاني: « واعلم أنَّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئًا يجري مجرى الأصل، غَيْرَ العناية والاهتمام. قال صاحبُ الكتاب، وهو يذكر الفاعل والمفعول:» كأنَّهم يقدِّمون الذي بَيَانُه أهمُّ لهم، وهم بِبَيانِهِ أَعْنَى، وإن كانا



جميعًا يُهِمَّانِهم ويَعْنيانِهم» ولم يَذْكر في ذلك مِثَالًا ... ... وقد وَقعَ في ظنونِ النَّاسِ أَنَّه يكفي أنْ يقالَ: «إِنه قُدِّم للعناية، ولأنَّ ذكْرَه أَهمُّ»، مِنْ غير أن يُذْكَر، مِنْ أين كانت تلك العنايةُ؟ وبمَ كانَ أهمَّ؟ « دلائل الإعجاز:١٠٧ــ ١٠٨. ـوقد ذكرت النص في هذا البحث في دلالة التقديم والتأخير في أسلوب الاستثناء.

٥٥- ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٦٩/١٤.

٥٦- سورة القصص، الآية:٢٧.

٥٧- سورة نوح : الآيات: ٢٥ ــــ ٢٨.

٥٨- ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣٧٦/٥ ـ٣٧٧. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٢٣٦/٨ ــــ ٢٣٧.

٥٩- تفسير الكشاف:٤٦٧.

٦٠- سورة البقرة، الآية: ٨٢.





القرآن الكريم.

١- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري(ت٥٧٧ه)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.ت).

٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، (د.ت).

٣- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د. ت).

٤- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان (د.ت).

٥- تفسير أبي السعود « إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، دار المصحف، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد، القاهرة - مصر، (د.ت).

٦- تفسير البغوي» معالم التنزيل»، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسلمان سالم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٧- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٨- تفسير الخازن المسمَّى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن(ت٧٢٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٩- تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر(ت٦٠٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٠- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي(ت ١٣٣٢هـ)، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ ـ١٩٥٧م.

١١- تفسير القران العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة ـ مصر،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٢- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م

١٣- تفسير القرآن للقران، عبد الريم الخطيب، دار الفكر العربي، مصر،(د.ت).

١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: سعد بن فواز الصّميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ

١٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة مصر، ط٢ (د.ت).

١٦- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(ت٦٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧ه ـ ٢٠٠٦م.

١٧- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د.ت) .

١٨- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد



الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت) .
١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، (د. ط)، (د.ت).
٢٠- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .
٢١- شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت٤٢١هـ) تحقيق: أحمد أمين، وعبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م.
٢٢- شرح الرَّضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٢٣- الكتاب، كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ (سيبويه) (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، وبذيله (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال)، أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري (ت٦٨٣هـ) تحقيق: أبو عبد الله الداني بن منير ال زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٢٧ هـ ـــ ٢٠٠٦.
٢٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـــ لبنان، دار المرتضى، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـــ٢٠٠٦م .
٢٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحقِّ بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـــ ٢٠٠١م.
٢٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، (د.ت).
٢٨- النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري(ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

